.. وفى يوم ٢٦ يوليو شهدت ناريمان اللحظات التاريخية مع نهاية حكم الملك الأرناؤوطى

إن قصة ناريمان تروى تفاصيل كثيرة عن الأيام الأخيرة فى حياة عائلة الملك الأرناؤوطى التى حكمت مصر لمدة ١٥٠سنة..

أنها تكشف صورة الحياة الغريبة التى كان فاروق يحياها، وهو يحكم مصر..

وحتى لا ننسى .. أعود بذاكرتي إلى يوم حريق القاهرة ...

كان فاروق يجرى فى طرقات القصر الملكى وهو فى أشد حالات القلق والإنزعاج..

وكما قال الصديق مصطفى صادق عم ناريمان.. لقد طلب فاروق إليه، الاتصال بقائد السرب الملكى فى تلك الأيام،لإعداد طائرة هليكوبتر، حتى يتسنى له إستخدامها فى الهروب إلى خارج البلاد..

وكان إعتقاده.. إن الموقف لن يقف عند حريق القاهرة.. وأنه قد يتطور فى اليوم التالى ليهدد حياته بالخطر..

وكان أن قرر أن يهرب قبل أن تغرق به سفينة العرش..

ولكن الموقف أخذ يهدأ، وقد سارت الأمور- من وجهة نظره.. إلى ما هو أحسن، عندما قامت وزارة على ماهر التى تم تشكيلها بسرعة حريق القاهرة، بما طلب إليها أن تقوم به..

وكان أن قام أحمد مرتضى المراغى وزير الداخلية فى حكومة على ماهر باعتقال كل العناصر الوطنية المتحركة، وإيداعها فى معسكر (هايكستب) .. وهو الاسم الذى كانت تشتهر به منطقة مطار القاهرة الحالي..

المهم.. تصور فاروق أن اعتقال هذه العناصر يمكن أن تهدأ معه العاصفة..

وكان أن اطمأن باله، فعاد إلى لعبته المفضلة التى كان يمارسها فى تلك الأيام وهى تهريب أمواله إلى الخارج..

ولكن وزارة على ماهر لم تستمر فى الحكم إلا خمسة أسابيع..

وجاء أحمد نجيب الهلالي فى شهر مارس سنة١٩٥٢، ليرأس الوزارة، وجاء معه أحمد مرتضى المراغى وزيرا للداخلية..

وفى بادئ الأمر إصطدمت هذه الوزارة بأحمد عبود الذى أصر على أن يحصل لحسابه على حوالى ٦مليون جنيه من ضريبة الأنتاج على السكر، ورفض أن يقوم بتسديدها لخزينة الدولة، وهى التى كان الشعب يدفعها زيادة فى ثمن السكر لتمويل هذه الخزينة..

وبمعني آخر كان يصر على أن تدخل هذه الضريبة إلى جيبه، وأن لا تخرج منه..

ولم تبق وزارة أحمد نجيب الهلالي سوى عدة أسابيع ثم استقالت فى يوم ٢٨يونيو سنة ١٩٥٢..

ولعب وسيطان هما كريم ثابت وإلياس إندراوس دورا فى الضغط على فاروق حتى وافق، وهو جالس فى قاعة القمار بنادي السيارات على تغيير هذه الوزارة..

وتردد فى تلك الأيام إسم بهي الدين بركات كان قد تلكأ فى دفع الثمن الذى كان مطلوبا منه للوسيطين مقابل التخلص من وزارة الهلالي..

ولم ينتظر عبود ، وكان أن بادر بدفع الثمن.. وكان طبيعيا أن يختفي إسم بهي الدين بركات كمرشح لرئاسة الوزارة، ليحل مكانه اسم حسين سرى الذى كان يعمل موظفا فى شركات أحمد عبود..

واصطحب حسين سرى معه فى هذه الوزارة كريم ثابت كوزير.. كما أسند منصب وزير الداخلية إلى زوج أبنته محمد هاشم..

وكان ظهور اسم كريم ثابت فى قائمة الوزراء، هو قمة العبث والاستهتار بمصالح شعب مصر..

ولم تبق حكومة حسين سري فى الحكم أكثر من عدة أسابيع هى الأخرى.. ثم استقالت..

وجاء أحمد نجيب الهلالي مرة أخرى فى يوم ٢١يوليو سنة١٩٥٢ رئيسا للوزارة، ومعه أحمد مرتضى المراغى وزيرا للداخلية ، ، وإسماعيل شرين زوج الأميرة السابقة فوزية أخت فاروق وزيرا للحربية..

ولم تبق هذه الوزارة فى الحكم أكثر من ٤٨ ساعة .. ثم كانت ثورة ٢٣ يوليو..

كان يوما مشهودا فى تاريخ مصر عندما تحركت قوات الجيش عند منتصف الليل فى ليلة ٢٣ يوليو لإنقاذ مصر وشعب مصر من حياة العبث والإستهتار التى كادت أن تؤدى بالبلاد إلى التهلكة..

وعندما خرج الضباط الأحرار فى تلك الليلة ينفذون عملياتهم، كان كل واحد منهم يحمل رأسه على كفه..

ويروى الأميرالاى محمد يوسف رئيس الشئون العربية بوزارة الداخلية فى تلك الأيام فى مذكراته.. كيف استطاع رجال القلم السياسي أن يتعرفوا على أسماء قادة ثورة الجيش.. وكيف أنه قد قام بنفسه بإبلاغها إلى القصر الملكى وإلى الفريق محمد حيدر باشا قبل أن تتحرك قوات الجيش، ولكن الفريق محمد حيدر لم يهتم كثيرا بالتقارير التى رفعت إليه..

إنه لم يتصور أن يتحرك الجيش ليوجه ضربته إلى الملك الأرناؤوطى الذى كام يحكم مصر !

ومع ساعات الفجر الأولى صباح يوم ٢٣يوليو، إنبرى ضابط شجاع ليعلن بنفسه على الشعب بيان الجيش..

كان صوته، وهو يقول فى الإذاعة:

- إجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ..الخ..

هو أول صوت يسمعه الشعب عن ثورة الجيش

وكان هذا الضابط هو البكباشى محمد أنور السادات.

لقد ذهب إلى مبنى الإذاعة، ليذيع بنفسه بيان الثورة..

ولم يكن يهمه أن تعرف شخصية أو صوته فى الوقت الذى كان فيه فاروق ما يزال ملكا.. وكان قد اتخذ استعداداته فى الإسكندرية لمواجهة ثورة الجيش.. ولم يكن أى واحد من قادة الثورة حتى تلك اللحظة يستطيع أن يؤكد أن الثورة قد نجحت..

وبالتالي يقوى على الكشف عن شخصيته.. !

ولم يكن ذلك غريبا على البكباشى محمد أنور السادات، فقد كانت له تجربته الوطنية عندما شارك فى شبابه مع زملائه من الوطنيين فى القتال ضد قوى الاستعمار التى كانت تسيطر على مصر..

وكان الوحيد من بين زملائه أعضاء مجلس الثورة الذى كانت له تجربته فى ممارسة العمل السياسي من خلال الشارع المصري..

وكان الوحيد من بينهم الذى شرد وعذب وسجن، وفصل من عمله بسبب نشاطه فى الحركة الوطنية.. ودفاعا عن مصر.. وحقوق شعب مصر.. !

* * *

وتحركت قوات الجيش إلى الإسكندرية لتحاصر الملك الذى احتمى بقصر رأس التين..

وطار محمد أنور السادات إلى الإسكندرية، وكان هو الذى أعد وثيقة تنازل الملك الأرناؤوطى فاروق على العرش..

وكما قال الرئيس السادات فى كتابه ((البحث عن الذات)) .. لقد فوجئ بعد إبحار فاروق مع عائلته على اليخت المحروسة، وكان يتلقى مع زملائه أعضاء القيادة فى قشلاق مصطفى (باشا) بالإسكندرية، التهاني من مواكب.. رجال الأحزاب وكبار الباشوات والبكوات والإقطاعيين، بالقائم بالأعمال البريطاني، وفى صحبته الملحق العسكري فى السفارة البريطانية، وهما يطلبان مقابلة أعضاء القيادة.

وكان الملحق العسكري يرتدى ملابسه الرسمية على طريقة مواكب الإمبراطورية القديمة التى كانوا يرهبون بها المستعمرات..

وقام القائم بالأعمال البريطاني بقراءة مذكرة كان يحملها معه، وكانت تكشف عن رغبة غريبة من الحكومة البريطانية..

ماذا كانت تقول هذه المذكرة ؟ ..

كانت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية تريد أن تعرف موقف الثورة من أسرة الملك الأرناؤوطى وحقوقها التاريخية بعد أن تنازل الملك عن العرش..

وتطلب كذلك فرض حظر التجول حماية لأرواح الأجانب..

وتكلم محمد أنور السادات ليلقن القائم بأعمال السفارة البريطانية والملحق العسكري البريطاني درسا فيما يجب أن تكون عليه العلاقات السياسية بين مصر وبريطانيا بعد الثورة . .

وكان أن ألتفت إلى الرجلين وهو يقول لهم:

- البند الأول.. أسرة محمد على وحقوقها التاريخية.. ما دخلكم أنتم فى هذا؟.. هل هى أسرة إنجليزية، أمركم غريب والله ! .. أما عن حماية الأجانب فيجب أن تعلموا أن هذا بلدنا.. وأنه منذ اليوم لا أحد مسئول عنها إلا نحن.. ونحن فقط .. أفهمتم..

ثم استطرد محمد أنور السادات يقول لهما:

- إننا نريد أن نعرف .. بأية صفة تقولوا هذا الكلام؟ .. هل هى صفة رسمية؟ .. إذا كان الأمر كذلك، فنحن نريد كلامكم مكتوبا وموجها من الحكومة البريطانية حتى نستطيع أن نتخذ موقفا من حكومتكم؟ ..

وتراجع القائم بأعمال السفارة البريطانية على الفور وقال إن الورقة التى قرأ منها كلامه، ورقة عادية، وأن حكومته لا تعرف شيئا عنها أو عن زيارته لأعضاء القيادة..

واعتذر القائم بالأعمال البريطاني بأسلوب ناعم، لكن بعد أن عرف بصراحة.. أن تدخل حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فى سياسة مصر قد انتهى وأن أحد لا يمكن أن يسمح به بعد ثورة ٢٣يوليو..

وبمعنى أصح.. عرفت الحكومة البريطانية لأول مرة حدودها، بالضبط فيما يجب أن تكون عليها اتصالاتها مع المسؤولين المصريين..[١]

* * *

وفى البهو الكبير بقصر رأس التين أمسك فاروق القلم ليوقع بإمضائه لآخر مرة كملك.. وثيقة التنازل عن العرش..

كان يرتجف من الخوف، وهو يحاول أن يبدو متماسكا وكان فى نفس الوقت يعد الدقائق حتى جاءت الساعة السادسة التى أبحرت به الباخرة المحروسة مع ناريمان وأفراد أسرته من الإسكندرية إلى نابولى فى إيطاليا..

(١) كتاب (البحث عن الذات) للرئيس محمد أنور السادات صفحة ١٥٠.

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

نتيجة الاستهتار وعدم إحكام السيطرة على مقاليد الأمور وترك مصير الحكم والبلد لبعض أفراد الحاشية كانت وثيقة التنازل عن عرش مصر.. وهي أخطر وثيقة كتبها فاروق وهي بمثابة شهادة وفاة له.

ولم ينس فاروق فى الساعات القلائل قبل رحيله أن يحمل ٦٤ صندوقا ملأها بالتحف الثمينة التى كانت موجودة بالقصر الملكى.

كما حصل معه عدة صناديق من الذهب كان قد تلقاها هدية من المملكة العربية السعودية..

وبينما كان الملك الأرناؤوطى يرتدى ملابس البحرية التى شوهد بها عندما صعد إلى الباخرة المحروسة مد يده إلى علبة كانت إلى جوار سريره، ثم فتحها ليدس فى جيبه جوهرتين ثمينتين من الماس.. كان أحمد عبود قد اشتراهما لحساب الملك من أحد أصحاب محلات المجوهرات الثمينة فى نيويورك..

وكان أحمد عبود قد دفع مليونين من الدولارات ثمنا لهاتين الماستين، وتبقى حوالى نصف المليون من ثمنهما..

وعندما ذهب صاحب محل المجوهرات الأمريكي إلى فاروق فى كابرى ليطالبه ببقية ثمن الماستين، أخذ يتحسر عليهما مدعيا أنه قد تركهما وراءه فى خزينة أحد القصور الملكية..

وكانت فضيحة عندما ظهرت الماستان مع فاروق بعد عدة سنوات فى جنيف!

* * *

وفى يوم ١٨ يونيو سنة١٩٥٣ أذيع بيان رسمى.. أعلن فيه نهاية حكم عائلة الملك الأرناؤوطى، وإعلان الجمهورية..

وصفق شعب مصر بحماس وهو يستمع فى الإذاعة إلى البيان التاريخى الذى أذيع فى تلك المناسبة.. وكان يقول بالحرف الواحد:

- إن تاريخ أسرة محمد على كان سلسلة من الخيانات التى أرتكبت فى حق شعب مصر، وكانت أول هذه الخيانات .. إغراق إسماعيل فى ملذاته، وإغراق البلاد بالتالي فى ديون عرضت سمعتها وماليتها للخراب، وكان ذلك سببا تعللت به الدول الاستعمارية للنفوذ إلى أرض هذا الوادي الأمين.. ثم جاء توفيق فأتم هذه الصورة من الخيانة السافرة فى سبيل محافظته على عرشه، وكان أن دخلت جيوش الاحتلال مصر لتحمى الجالس على العرش الذى استنجد بأعداء البلاد على أهلها وبذلك أصبح المستعمر والعرش فى شركة تتبادل المنفعة.. وقد فاق فاروق كل من سبقوه من هذه الشجرة، فأثرى وفجر وطغى وتجبر، وكان أن خط لنفسه نهاية مصيره، وقد آن للبلاد أن تتحرر من كل أثر من آثار العبودية التى فرضت عليها نتيجة هذه الأوضاع.. ومن أجل كل هذا نعلن، باسم الشعب إلغاء النظام الملكى وإنهاء حكم أسرة محمد على مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة..

وكانت نهاية أسرة الملك الأرناؤوطى التى حكمت مصر لمدة ١٥٠ سنة !

نبذة عن المؤلف ومؤلفاته

- عمل جميل عارف كاتب هذه المذكرات بالصحافة منذ عام ١٩٤٦ على أثر تخرجه من جامعة القاهرة. فقد عمل عدة سنوات بالصحف اليومية. كما عمل بمجلة المصور(دار الهلال)، وبعدها أنتقل ليعمل فى مجلة آخر ساعة. وقد عمل نائبا لرئيس تحريرها لمدة ١٩سنة. وهو يعمل الآن مدير التحرير مجلة أكتوبر.

- عاصر أحداث البلاد العربية فى جولاته الصحفية. وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين الكثيرين من ملوك ورؤساء وزعماء هذه البلاد العربية.

- عمل مراسلا حربيا أثناء حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨. وأثناء العدوان الثلاثي على بور سعيد فى عام ١٩٥٦- كما عاصر غالبية حركات التحرر العربية..

- عاش أحداث ثورة لبنان فى عام ١٩٥٨ وثورات العراق والسودان كما قام بعدة رحلات مثيرة بمساعدة قوات جيش التحرير الجزائري داخل الأراضي الجزائرية على أثر اندلاع نيران فى بلد المليون شهيد.

- اتهمه الإمام أحمد بن حمد الدين ملك اليمن السابق بالتآمر على حكم الأئمة فى اليمن. وأصدر ضده حكما غيابيا بإعدام على أثر ثورة السلايا فى عام ١٩٤٥..

- قام بجولات صحفية فى ١٠٩ دولة فى مختلف أنحاء العالم على مدى ٢٣سنة وأشتهر بسلسلة تحقيقاته الصحفية التى كتبها عن الدول الأفريقية بعد أن حصلت على استقلالها..

- عاش ٩٠ يوم إلى جانب الزعيم الأفريقي الشهيد باتريس لومومبا أثناء أحداث الكونغو. وكان صديقا شخصيا له. ولكثير من رؤساء وزعماء دول القارة الأفريقية..
- قبض عليه الاستعمار موريس تشومي. وألقى به فى أحد سجون حكمه الانفصالي فى إقليم كاتانجا بجمهورية زائبرى(الكونغو). ثم اضطر للإفراج عنه تحت ضغط ممثلي الصحافة العالمية..